

وقوم لسانه أخرج الرّاء على الصّحة فتأتى له ذلك . وكان يدع ذلك استثقالا ، أنا سمعت ذلك منه .

* * *

ومن مظاهر حدود الوعي المنهجيّ ما نلاحظه من تباعد ما حقّه التعاقب المباشر، ومما يتسنى الاستدلال به على ذلك لإيراد الجاحظ رأيا للعتابيّ في البلاغة في (ص ١١٣) من الجزء الأوّل ثم لا يعلّق عليه إلا في (ص ١٦١) .

وإلى ما ذكرنا ينضاف ضمن منهج التّأليف نمط يعترضه القارىء من حين إلى آخر ويتمثّل في تقطّع جبل التّأليف بضرب من الاستثناف عن طريق بسمة أو افتتاح دعائيّ دون أن يكون في مضمون الكلام، السّابق منه والأحقّ، ما يدعو إلى ذلك أو يبرّره، وكثيرا ما انساق المحقّق مع المؤلّف فجسّم ذلك باستهلال صفحة جديدة^(١٠) . ومن يدري لعلّ تلك المفاصل إنّما هي لحظات استثناف زمنيّ بعد راحة من الوقت في ليلة أو أسبوع أو بعض الزّمن الممتدّ .

ولبعض تلك الأسباب نرى الجاحظ يستدرك من حين إلى آخر على نفسه فيحاول أن يرجع مسالك القول إلى الانتظام الذي كان يرتثيه، وهذه الاستدراكات مطّردة في الكتاب إلى حدّ التّواتر، ومن مواطنها - للشاهد لا للحصر - قوله : «ورجع بنا القول إلى الكلام الأوّل فيما يعترى اللّسان من ضروب الآفات ...» (١-٥٧) واستعماله الفعل الماضي من باب تحقيق الإنجاز الحاضر على عادة العرب في كسر حدود أزمنة الأفعال .

(١٠) انظر على سبيل المثال : ج ١ ص ٨٨ و ١٦١ .